
دحض التفويض الملفق
على الشيخ الموفق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد فمعلوم أن مذهب السلف في صفات المولى عز وجل إثبات المعنى وتفويض الكيف ومن قال عنهم غير ذلك -مثل أنهم يفوضون المعنى والكيف- فقد افترى عليهم الكذب.

وأن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان ثبت عنهم أنهم فسروا جميع القرآن، ولم يثبت عنهم تفويض معنى صفة لله أبدًا بل فوضوا الكيف فقط، وفي ذلك آثار صحيحة لا حصر لها ولا عدد مثل ما صح عن الإمامين مالك وربيعة رحمهما الله وغيرهما: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول" وروي مثله عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: "سمعت أبي يقول: ... حدثنا يحيى بن سعيد، ... عن النبي ﷺ «أن الله يمسك السماوات على أصبع» قال أبي رحمه الله: جعل يحيى يشير بأصابعه وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعه يضع أصبعًا أصبعًا حتى أتى على آخرها"[1].

وقد ابتدع البعض بدعة التفويض ففوضوا معاني الصفات، زاعمين أنه لا يُدرى معناها، فخالفوا أهل السنة وإجماع سلف الأمة الذين يثبتون المعنى ويفوضون الكيف، وادعوا أن الله أنزل علينا في كتابه العربي المبين آلاف الكلمات التي لا نعلم معناها ولا يعلم رسولنا ﷺ وصحابته الكرام معناها -نعوذ بالله من الضلال- وقد قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله"وأما على قول أكابرهم: إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها فعلي قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله

---

١ السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، رقم ٤٨٩



به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه ... ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدى وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه ـ وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، ... لا يعلم أحد معناه، فلا يُعقل ولا يُتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين ... وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به. فيبقي هذا الكلام سداً لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدي والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلًا عن أن يبينوا مرادهم. تبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"[٢]

وقد نبتت نويبتة شر في زماننا جددت السعي لإلصاق هذه البدعة الشنيعة والمسبة الفظيعة بالسلف الصالح رضوان الله عليهم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا، لكني آثرت ألا أخوض في التأليف ردًا عليهم فقد كفاني مؤنة ذلك غيري من أهل العلم الفطاحل سلفًا وخلفًا، لكن حاول البعض إلصاق هذه البدعة بالشيخ الموفق ابن قدامة المقدسي رحمه الله! ولأن للشيخ رحمه الله كلامًا يحتمل هذا المعني، ولأن العقيدة تؤخذ من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ولا يجوز فيها التقليد كما قرر الأئمة الأثبات، فإن كثيرين لم يبالوا بدفع هذه المسبة والمنقصة العظيمة عن الشيخ، بل إن بعض أهل الخير أثبتها له وتنقصه بها، وهذا خطأ منهم -على جلالة قدرهم- وظلم للشيخ الموفق رحمه الله، وبعض النويبتة أعجبته الفرية فهش لها وفرح بها عله يجد عاضدًا وناصرًا، ففُجعوا بسراب بقيعة حسبوه

---

[٢] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج١ ص ٢٠٥

ماء فإذا به السم الزعاف لباطلهم وبدعتهم، ولما كان للشيخ الموفق فضل عليّ كبير في كتبه المغني والكافي والمقنع والعمدة وروضة الناظر ولمعة الاعتقاد وغيرهم فكان واجبًا أن أرد عنه البهتان وأدفع عنه الافتراء كحق للمسلم على أخيه أولًا وكحقه الخاص فيما نهلته من علمه ثانيًا.

وقد رد الشيخ تميم بن عبد العزيز القاضي هذه الفرية في رسالة قيمة معنونة"نفي تهمة التفويض عن الإمام الموفق ابن قدامة" لكن شابها بعض طول لا يلائم القارئ الملول، فآثرت أن أذب عن عرض شيخي بكلمات قلائل في وريقات تؤدي غرض المسألة ويعم نفعها الجميع، ولأن الغرض نفي الفرية عن الشيخ من أصل كلامه فلم أخرّج ما ذكره من أحاديث وآثار -وإن كان بعضها معلولًا- لأن الغرض من إيرادها على لسانه بيان مذهبه في المسألة لاحتجاجه بها، ثم قد تكون صحيحة عنده أو أوردها للاعتضاد.

وقبل أن أبدأ في سرد كلامه الواضح الصريح في عدم التفويض أبين أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم ينسب أبدًا لابن قدامة هذه البدعة رغم أنه استدل بكلامه في مواطن كثيرة، ورغم أنه انتقد القاضي أبا يعلى الحنبلي وابن عقيل رحمهما الله لبدع في الصفات منها التفويض وهما في رتبة ابن قدامة، بل (وهو مهم جدًا) ابن قدامة رحمه الله لم ينقل عن أبي يعلى شيئًا من أقواله في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" أو غيره، فلو كان يرى مذهبه في الصفات لاعتضد بكلامه كما اعتضد بكلام غيره سواء من أهل مذهبه أو من المذاهب الأخرى كما فعل مع أبي عمر بن عبد البر المالكي وغيره، خاصة أنه ألف في عنوان قريب من عنوان أبي يعلى فسمى كتابه "ذم التأويل" ومع ذلك لم ينقل عنه كلمة، رغم استدلاله بكلامه كثيرًا جدًا في روضة الناظر والمغني وغيرهما، مما يدل على مخالفة ابن قدامة لكلام أبي يعلى في مسائل الصفات، وأبو يعلى كان يرى التأويل ثم انتقل إلى التفويض وخالفه ابن قدامة في الأمرين.

وعلى وزان شيخ الإسلام فإن تلميذه ابن القيم اشتد نكيره على بدعة التفويض ومع ذلك مدح ابن قدامة ولم ينسبه لهذه البدعة من قريب أو بعيد بل (وهو مهم للغاية) نقل عنه أشد عبارة ملتبسة يتمسك بها نويبتة الشر مستدلًا بها على مذهب أهل السنة في إثبات المعنى وتفويض الكيف: (بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه، قراءته تفسيره)[٣]، و فهْم كلام العالم من عالم آخر على مذهبه أصح طرق الفهم، وحجة على المخالف خاصة إذا عضدّت بكلام آخر للعالم الملتبس النقل عنه.

هذا وإن من أعظم ما حدث اللبس فيه من كلام الموفق رحمه الله قوله في لمعة الاعتقاد: "وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل. وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله...".

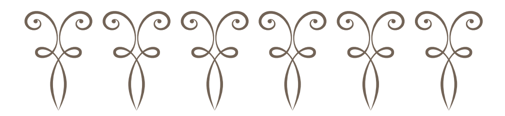
فقال نويبتة المفوضة إن ابن قدامة يقصد بكلمة "ترك التعرض لمعناه" الجهل بالمعنى ظاهرًا وباطنًا والجهل بالكيفية، وقال أهل السنة -ممن فهم كلام الشيخ ووضعه في إطاره الصحيح بين باقي كلامه- إن معناه ترك تأويله بخلاف ظاهره؛ وقد سبق ونقلنا فهم ابن القيم، لكننا الآن نرتضي حكمًا بيننا وبين دعاوى أهل البدع من كلام الموفق نفسه لا غيره.

وقد سبرت كتبه في العقيدة واخترت مقتطفات قاطعة في مسألتنا من ثلاثة منها: "إثبات صفة العلو" و"ذم التأويل" و"لمعة الاعتقاد" ومن أراد المزيد فليرجع إلى هذه الكتب يقرأها كاملة فلن يزدد -بإذن الله- إلا يقينًا برأي الموفق الذي وُفق لاتباع السنة ونهج سلف الأمة.

---

٣ اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ج ٢ ص ١٩١

وقد بدأتها بكتاب "إثبات صفة العلو" لأن الشيخ نقل ٩٩ دليلًا وأثرًا ليثبت علو الله حقيقة وأن استواءه على عرشه يعني علوه عليه حقيقة لا كما يزعم المفوضة "أنها كلمة لا يُدرى معناها"، ثم ختمه بصاعقة ماحقة للمفوضة في عموم الصفات حين نقل قول أبي عمر بن عبد البر في إثبات حقيقة المعنى مقرًا له، فإذا أثبتنا ما يراه ابن قدامة في العلو والاستواء سهل للغاية القطع برأيه في سائر الصفات وذلك في كتابيه "ذم التأويل" و"اللمعة".



أولًا : كتاب "إثبات صفة العلو"[٤]:

اخترت منه نماذج قاطعة في بيان أن ابن قدامة لا يفوض صفتي العلو والاستواء.

- يقول ابن قدامة: "وأخبر عن فرعون أنه قال: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً}، يعني أظن موسى كاذبًا في أن الله إلهه في السماء، والمخالف في هذه المسألة قد أنكر هذا يزعم أن موسى كاذب في هذا بطريق القطع واليقين، مع مخالفته لرب العالمين، وتخطئته لنبيه الصادق الأمين، وتركه منهج الصحابة والتابعين، والأئمة السابقين، وسائر الخلق أجمعين نسأل الله تعالى أن يعصمنا من البدع برحمته، ويوفقنا لاتباع سنته ..."

- ويقول: "كتب إلي الإمام الفقيه أحمد بن محمد بن خلف، يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، أريد أن أسألك عن مسألة، قال: فما هي، قلت: جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة أن الله في السماء، وأكثر الناس ينكرون هذا. [قال ﷺ] ومن ينكر هذا الأمر؟! كذلك الله في السماء".

يستأنس ابن قدامة لإثبات العلو الحقيقي بالرؤى، فأين التفويض؟!!

– ويقول: "عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ... قال [ﷺ] هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا لا ندري، قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتين أو ثلاث وسبعين سنة ثم السماء فوقها كذلك، حتى عد سبع سماوات، ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تعالى فوق ذلك"

٤ الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

انظر إثبات معنى العلو الخاص على العرش استدلالًا بهذا الحديث بغض النظر عن صحة سنده لكن الشاهد استدلال ابن قدامة به.

- ويقول: " [عن] جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله ﷺ: ويحك أتدري ما تقول؟ ... ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد، ويحك أتدري ما الله؟ إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته".

- ويقول: "[أنشد] حَسَّانُ بْنَ ثَابِتٍ النَّبِيَّ ﷺ:

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا ... رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ من عل

- وقال: "... عن الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ أنه أنشد النبي ﷺ

تَعَالَى عُلُوًّا فَوْقَ عَرْشِ إِلَهِنَا ... وَكَانَ مَكَانُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

- ونقل مستدلًا بما أثبته أبو عمر بن عبد البر من شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا

- وقال: "عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: ما بين السماء القصوى وبين الكرسي خمسمائة سنة، وما بين الكرسي والماء خمسمائة سنة، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم"

- وقال "عن عكرمة في قوله: {ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم}، قال: قال ابن عباس: لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم". [اثبات العلو كجهة فوق].

إذًا العلو له معنى معروف فهمه الصحابة على ظاهره، وفهموا استوى بمعنى علا على العرش، ولم يسم ابن قدامة هذا تأويلًا ولا تفسيرًا ممنوعًا بل استدل به.

- وقال: عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله: {الرحمن على العرش استوى} قالت: "الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر" ... سئل ربيعة عن قوله: {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق".

- وقال: "قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء، قال أبو عمر [ابن عبد البر]: علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله عز وجل: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"

- وقال: " وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله [الإمام أحمد]: ما معنى قوله: {وهو معكم}، و{ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم}، قال: علمه، ... ربنا على العرش بلا حد ولا صفة ".

انظر فهمه لكلام أحمد أنه مثل ما قبله من كلام في إثبات جهة الفوقية حقيقة لله.

- وقال: "قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، على العرش وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان".

- وقال: "عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: في كتاب الفقه الأكبر: من أنكر أن الله تعالى في السماء فقد كفر"

- وقال: "[قيل] لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، قال أحمد: هكذا هو عندنا".

لاحظ تبيين معنى استوى أنه على عرشه.

- وقال: "جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ ... فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن يكون ضالا، وأمر به فأخرج"

- وقال: "عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل سفيان، ومالك، ... وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء".

- وقال: "[عن] أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمه الله- يقول: من لم يقر بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر به، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل، حيث [لا] يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئًا، لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ"

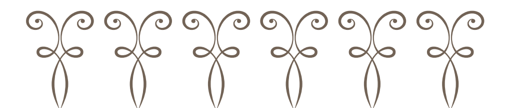
- وقال ابن قدامة "قال أبو عمر -رحمه الله-: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع، الجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل منها شيئًا على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها



مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما ينطق به كتاب الله، وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله“

استدلاله بقول الإمام أبي عمر بن عبد البر هذا مقرًا له يقطع النزاع من أصله في مسألة نسبة الإمام ابن قدامة للتفويض، خاصة وأنه لم يجرؤ أحد أن ينسب ابن عبد البر للتفويض.

ولكن إرغامًا لأهل البدع أكثر وأكثر أنقل باقي أقوال ابن قدامة في باقي كتبه.



ثانيًا: كتاب"ذم التأويل"[5]

- يقول ابن قدامة: "ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها"

لاحظ كلمة "بما يخالف ظاهرها" أي هذا هو التأويل الممنوع المذموم أما ما يوافق الظاهر فليس ممنوعًا.

- وينقل ابن قدامة مقرًا عن علي بن ثابت الطيب قوله"أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فإذا قلنا لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول إن معنى اليد القدرة ولا أن معنى السمع والبصر العلم ولا نقول إنها الجوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات الفعل ونقول إنما ورد إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وقوله عز وجل {ولم يكن له كفوا أحد}"
لاحظ "على ظاهرها" والنفي هو للتشبيه والكيفية وليس للمعنى.

- ينقل ابن قدامة عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي مقرًا قوله"اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة ... يعتقدون أن الله

٥ الناشر: الدار السلفية – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ [٤٨ صفحة]

تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ خلق آدم بنفسه و{يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} بلا اعتقاد كيف وأنه عز وجل {استوى على العرش} ولم يذكر كيف كان استواؤه"

يهمنا هنا أنه جعل صفة الاستواء كصفة اليد وكغيرها من الصفات وقد نقلنا عددًا ضخمًا من النقول لتونا عن ابن قدامة تبين أنه يرى أن صفة الاستواء مفهومة المعنى وتعني"العلو" مجهولة الكيف، وعليه فنقله هنا يبين أنه يرى أن صفة اليد كذلك وكذلك سائر صفات الله: المعنى معلوم والكيف مجهول، أقول هذا قطعًا لتشغيب بعض المتنطعين الذين قد يزعمون أن الشيخ يثبت صفة الاستواء ويفوض غيرها (توقع من المفلس المبتدع أي شيء).

- وينقل ابن قدامة مقرًا –أيضًا- عن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة فقال"حديث عبد الله أن الله يجعل السماء على إصبع وحديث إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ونحو هذه الأحاديث فقال هذه الأحاديث نرويها ونقربها كما جاءت بلا كيف"

الممنوع التكييف فقط سواء في الأصابع أو الضحك أو النزول أو غيرها.

- ويقول ابن قدامة" ....[عن] علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا وأن الله يرى وإن الله يضع قدمه وما أشبهه فقال أبو عبد الله نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى ولا نرد منها شيئا ... ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} ولا يبلغ الواصفون صفته وصفاته منه ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت"

أتيت بنقل ابن قدامة لهذه الرواية عن الإمام أحمد مقرًا لها؛ لأن بعض أهل البدع يستدل بها على أن الإمام أحمد يرى بدعة التفويض –حاشاه إمام أهل السنة- وهذه الرواية شذذها ابن تيمية لأن حنبل رحمه الله لو انفرد برواية عن الإمام تخالف الثقات ترد، ومع ذلك فإن ابن تيمية يرى أنها -إن ثبتت- فلا تدل على التفويض بل على منع التأويل؛ فكلمة "لا معنى" يُقصد بها لا معنى مؤول، ودليل ذلك ما ثبت عن الإمام أحمد من الإشارة بأصابعه في حديث الأصابع الذي نقلناه في بداية هذه الرسالة وغير ذلك كثير، لكن محل الشاهد هنا أن ابن قدامة أيضًا يرى هذا التفسير لهذه الرواية بدليل سياقه الذي أتي بها فيه في كتاب"ذم التأويل" وما سبقها به من أقوال وما يلحقها مثل ما نَقل عن السلف أن الاستواء غير مجهول وغير ذلك، كما سنرى بإذن الله.

- وينقل ابن قدامة مقرًا –أيضًا- عن الحافظ أبي القاسم قال"ما جاء في الصفات في كتاب الله تعالى أو روي بالأسانيد الصحيحة فمذهب السلف رحمة الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها"

- أتى ابن قدامة بكلام أم سلمة رضي الله عنها وكلام ربيعة الرأي وكلام مالك الذي نقلناه هنا حول آية {الرحمن على العرش استوى} "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ..." ثم علق قائلًا:"وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى واللفظ فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة فاقتديا بها وقالا مثل قولها لصحته وحسنه وكونه قول إحدى أزواج النبي ﷺ ومن المحتمل أن يكون الله تعالى وفقهما للصواب وألهمهما من القول السديد مثل ما ألهمها"

- يقول ابن قدامة: "[في قوله تعالى"وما يعلم تأويله إلا الله"] فثبت بما ذكرناه من الوجوه أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى وأن متبعه من أهل الزيغ وأنه محرم على كل أحد ويلزم من هذا أن يكون المتشابه هو ما يتعلق بصفات

الله تعالى وما أشبهه ... الثاني أن النبي ﷺ تلا هذه الآيات وأخبر بالأخبار وبلغها أصحابه وأمرهم بتبليغها ولم يفسرها ولا أخبر بتأويلها ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بالإجماع فلو كان لها تأويل لزمه بيانه ولم يجز له تأخيره ولأنه عليه السلام لما سكت عن ذلك لزمنا اتباعه في ذلك... وأما الإجماع فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرناه عنهم وكذلك أهل كل عصر بعدهم ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة والإجماع حجة قاطعة فإن الله لا يجمع أمة محمد عليه السلام على ضلالة ومن بعدهم من الأئمة قد صرحوا بالنهي عن التفسير والتأويل وأمروا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت وقد نقلنا إجماعهم عليه فيجب اتباعه ويحرم خلافه ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلوا إما أن يكون علمه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وعلماء أصحابه أو لم يعلموه فإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم وهل يجوز أن يكون قد خبأ عنهم علمًا وخبأ للمتكلمين لفضل عندهم وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه وسعنا ما وسعهم ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم"

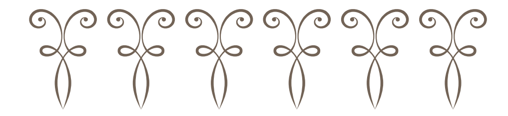
هذا النقل مهم لأن ابن قدامة قاله مختصرًا في روضة الناظر وغيره من كتبه وهو هنا يبين أن المقصد منع التأويل وليس منع إثبات الظاهر المعلوم لكل عربي يقرأ الصفات، ويقطع بقصده هذا ما سبق نقله عنه في نفس الكتاب "ذم التأويل" وما نقلناه عنه "في إثبات صفة العلو" ثم القول الأخير هنا الذي ختم به كتابه والذي لا يدع ذرة شك في رأي الشيخ الموفق حيث قال:

"فإن قيل فقد تأولتم آيات وأخبارا فقلتم في قوله تعالى {وهو معكم أين ما كنتم} أي بالعلم ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا، قلنا نحن لم نتأول شيئًا وحمل هذه اللفظات على هذه المعاني ليس بتأويل لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه حقيقة كان



أو مجازًا ... وإذا تقرر هذا فالمتبادر إلى الفهم من قولهم الله معك أي بالحفظ والكلاءة ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} ... ولو أراد أنه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده في حق غيرهم كوجوده فيهم ... فعلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلا ...".

- إذا القول بظاهر ما تدل عليه الصفة من معنى دون تشبيه ليس تأويلًا ولا تجسيمًا ولا تفسيرًا (ممنوعًا) ولا قولًا بمعناها (على مقصد الشيخ بكلمة المعنى)، فهل بعد هذا البيان من بيان لذي لب؟!!، وهل انجلى الغبار بلا همسة شك أو ذرة ريب أن من ينسب ابن قدامة لمذهب التفويض قد افترى عليه الكذب؟!!



ثالثا: كتاب"لمعة الاعتقاد"[٦]

- يقول ابن قدامة"... ومن السنة، قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا» وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة» وقوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة» فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته، نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه. ومن ذلك قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} وقوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك» «وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة» ... وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء ... فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله".

لاحظ أنه قرن بين صفة علو الله في السماء وصفة الاستواء على العرش وصفة الكلام والعجب والضحك -يعني الصفات العقلية والخبرية والاختيارية، وقد رأينا في "إثبات صفة العلو" كيف بين معنى العلو والاستواء فسائر هذه الصفات مثلهما.

- ويقول:"ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين

---

٦ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ... وقال سبحانه: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله ... وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء"، روى ذلك عن النبي ﷺ وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»، رواه الأئمة واستشهد به البخاري، وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعًا استئناسا بالصوت، فقال لبيك لبيك، ... أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال:"بل كلامي يا موسى"

لاحظ استدلاله بالأثر عن موسى عليه السلام –بغض النظر عن صحته- لنعلم أن ابن قدامة يثبت الكلام حقيقة بحرف وصوت.

- ويقول ابن قدامة"القرآن كلام الله ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، ... فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم. [ردًا على الكلام النفسي] ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف ... والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ - إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ... وقال النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير".

فثبت قطعًا مما سبق نقله على لسان الشيخ الموفق رحمه الله أنه على نهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في القول بظاهر معاني صفات الله الثابتة جميعًا مع تفويض الكيفية، ومما يزيدنا يقينًا على يقين في عقيدته رحمه الله أنه رغم كل ما أثبته من معاني صفات إلا أنه لم يثبت عنه تفويض صفة قط، فهل بعد هذا البيان ذرة شك في نفي فرية التفويض عنه؟!

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه / يحيى بن طاهر الفرغلي
٣ صفر ١٤٤٣ هـ

